



يقول الأمريكي إدوارد هوجلاند: "أشعر بالخجل عندما أنظر إلى الماضي وأنا في السبعين من عمرى، وأكتشف بأننى لم أتعرض للسجن ولو مرة واحدة في سبيل قضية ضمير".

ما أكثر قضايا الضمير التي تستحق أن نضحي من أجلها حتى نشعر بإنسانيتنا ونذكر أنفسنا من الدنس الذي علق بها ونحقق غاية وجودنا في هذه الحياة.. إن مساندة المظلومين والمعذبين على وجه الأرض ضرورية من أجل أنفسنا حتى ننقذ أرواحنا قبل أن تكون من أجل نفع هؤلاء المظلومين والمعذبين..

كلما رأينا مشاهد الشبان الرائعين في سوريا الذين يستقبلون الموت بتصورهم العاري في سبيل الحرية والكرامة ونحن نتابعهم عبر شاشات الفضائيات وصفحات الانترنت بينما ننعم بالدفء وتتلذذ بالطعام والشراب في بيوتنا، وقد أجمتنا حتى عن مساندتهم بكلمة، فإن شعورنا بالعار يتضاعف، ونخشى أن تكون ممن {كره الله ابعاهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين}..

يكاد عام ينقضي على ثورة الشعب السوري على واحد من أعنى أنظمة الاستبداد والفساد.. ثورة قابلها النظام بكل ما أوتي من وسائل القتل والإجرام مما تعجز العقول عن تصوره.. لكن هذا الشعب المؤمن الصابر الذي شهد له النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- بالخير: ((الشام صفة الله من بلاده، يجتبى إليها صفوته من خلقه)، ما كان له أن ينكص على أعقابه بعد أن عرف طعم الحرية التي حرم منها دهراً، وما كان له أن يرتد إلى الظلمات بعد أن لمح شعاع النور يأتي من الأفق. وضرب مثالاً سيخلده التاريخ للصبر والمصابرة والمرابطة.. استثير مخزون الإيمان العميق في نفوس هذا الشعب الأبي فرأينا أبناءه يتدافعون نحو الموت باستبسال تعجز قوانين الفيزياء عن تفسيره، وارتقت الأرواح فلم تعد تأبه بالموت أو السجن في سبيل الحرية والانعتاق من أغلال العبودية..

تمضي الأيام وتنقضى الشهور وأصحاب الأخدود يراهنون على إرهاق الشعب بالقتل والإرهاب والنار ذات الوقود، لكن هؤلاء الصفوة المباركة قد عاهدوا الله ألا يروهم من أنفسهم ما يسرهم ويرضي فجورهم فيبدون جلداً عجيباً، ويعرضون على

جراهم حتى لا يرى هؤلاء الفجار منهم ضعفاً أو وهناً.. يستمدون القوة من ذي القوة والجبروت بعد أن تخلى عنهم القريب والبعيد والشرق والغرب، واستفرد بهم المجرمون تقليلاً وتنكيلأً.

تكتسب المواجهة في سوريا أهمية خاصةً تميزها عما سبقها من ثورات عربية، فهي مواجهة تاريخية بكل ما تعنيه الكلمة، وستكون نتائجها إستراتيجية تقلب وجه المعادلة.. ذلك أنها ليست مواجهة بين الشعب والنظام وحسب، بل إنها مواجهة يتشارك فيها النظام البعثي وحزب الشيطان والدولة الفارسية مهمة قتل شعب يعبر عن روح الأمة التواقـة إلى التحرر من كل أشكال الاستعمار.. ويساند النظام بشكل غير معلن دولة بني صهيون لتصبح المعادلة ويا للعجب.. النظام السوري وإيران وحزبها وإسرائيل في خندق واحد..

لهم الله يا أهلنا في سوريا.. لقد تخلى عنكم القريب والبعيد، واستفردت بكم قوى الظلم العالمية في ميادين المواجهة.. إنكم تخوضون ولا شك مهمة صعبة.. لكننا نبشركم أن الله لم يختركم لهذه المهمة إلا لأنـه يعدكم لأمر عظيم ويريد أن يصطفيكم من عباده.. لا تجزعوا ولا تهنووا ولا تحزنوا.. إنـها معركة قاسية ولا شك.. وربما طالـ أمـد جـهـادـكـمـ وـعـظـمـتـ تـضـحـيـاتـكـمـ ولـكـ النـصـرـ فيـ نـهاـيـةـ الطـرـيقـ أـكـيدـ،ـ والـزـمـنـ يـعـملـ لـصـالـحـكـمـ وـلـيـسـ لـصـالـحـهـمـ..ـ وـفـيـ الـلحـظـةـ الـتـيـ تـنـتـزـعـونـ فـيـهاـ النـصـرـ -ـ وـهـيـ آـتـيـةـ لـأـرـبـ -ـ إـنـ وـجـهـ التـارـيـخـ سـيـتـغـيـرـ وـسـتـغـرـبـ شـمـسـ الـمـشـارـيـعـ الـاستـعـمـارـيـةـ الـتـيـ تـسـتـهـدـفـ أـمـتـاـنـاـ وـيـشـرـقـ شـمـسـ الـشـعـوبـ الـحـرـةـ بـصـدـقـاـهـاـ وـنـقـائـهاـ وـبـرـاءـتـهـاـ..ـ

صحيح أن الثمن الذي تدفعونه باهظ.. ولكن السلعة غالـية.. فالسلعة ليست حرية الشعب السوري وحسب بل حرية كل الشعوب العربية، وغروب شمس مشاريع الهيمنة والاستعمار وانعتاق الأمة من ذلـ القرونـ، وقد شرفـكمـ اللهـ بأنـ اصطفـاكـمـ دونـ غيرـكـمـ لهـذـهـ المـهـمـةـ العـظـيمـةـ لـتـكـوـنـواـ أـنـتـمـ مـنـ يـحـمـلـ اللـوـاءـ،ـ وـأـنـتـمـ مـنـ يـحـرـقـ فـيـ سـبـيلـ أـنـ يـحـيـاـ الـآـخـرـونـ..ـ وـأـعـظـمـ بـهـ مـنـ شـرـفـ!!ـ

إنـ اللهـ يـصـيرـ الأـحـدـاثـ وـفـقـ قـانـونـ خـاصـ لـيـتـلـيـ عـبـادـهـ فـيـمـيـزـ الـخـبـيـثـ مـنـ الطـيـبـ،ـ وـلـيـعـلـمـ الـذـيـنـ صـدـقـواـ وـيـعـلـمـ الـكـانـبـيـنـ؛ـ {ـمـاـ كـانـ اللهـ لـيـذـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ عـلـىـ مـاـ أـنـتـمـ عـلـىـ مـاـ يـمـيـزـ الـخـبـيـثـ مـنـ الطـيـبـ}..ـ وـثـوـرـةـ سـوـرـيـاـ كـانـ لـاـ بـدـ مـنـهـاـ وـفـقـ الـقـانـونـ الإـلـهـيـ لـتـبـدـ الـوـهـمـ وـتـفـضـحـ الـعـوـارـ،ـ وـتـكـشـفـ الـزـيفـ،ـ وـلـتـمـحـصـ الـذـيـنـ آـمـنـاـ..ـ

لقد حـقـقتـ ثـوـرـةـ سـوـرـيـاـ أـهـدـافـاـ عـظـيمـةـ حـتـىـ قـبـلـ أـنـ يـأـتـيـ فـصـلـهـاـ الـأـخـيـرـ..ـ وـلـوـ لـيـكـنـ لـهـذـهـ الثـوـرـةـ سـوـىـ مـاـ حـقـقـتـهـ حـتـىـ الـآنـ لـكـفـاـهـاـ بـذـلـكـ فـضـلـاـ..ـ فـهـيـ قـدـ أـسـقـطـتـ الـأـوهـامـ الـتـيـ كـانـتـ تـعـشـشـ فـيـ عـقـولـنـاـ،ـ وـعـرـفـتـنـاـ الصـادـقـيـنـ مـنـ الـكـانـبـيـنـ،ـ وـأـخـرـجـتـ مـاـ كـانـ خـبـيـءـ الصـدـورـ إـلـىـ الـعـلـنـ حـتـىـ لـاـ يـظـلـ النـاسـ مـخـدوـعـيـنـ إـلـىـ الـأـيـدـ،ـ وـلـيـعـرـفـوـاـ عـدـوـهـمـ مـنـ صـدـيقـهـمـ،ـ وـلـتـوقـظـهـمـ الأـحـدـاثـ عـلـىـ الـحـقـائقـ الـمـزـعـجـةـ الـتـيـ كـانـ لـاـ بـدـ مـنـ مـعـرـفـتهاـ؛ـ {ـلـيـحـقـ الـحـقـ وـبـيـطـلـ الـبـاطـلـ}..ـ

إنـ ثـوـرـةـ أـهـلـنـاـ فـيـ سـوـرـيـاـ هيـ إـلـاعـنـ لـأـنـتـهـاـ حـقـيـقـةـ الـمـشـارـيـعـ الـاستـعـمـارـيـةـ بـشـقـيـهاـ الـفـارـسـيـ وـالـرـوـمـيـ،ـ وـإـيـدانـ بـمـيـلـادـ عـصـرـ الشـعـوبـ وـاـسـتـعـادـتـهـاـ لـدـورـهـاـ الـحـضـارـيـ الـمـتـمـيـزـ..ـ فـقـدـ كـانـ إـيـرانـ تـعـمـلـ بـهـدوـءـ وـخـبـثـ عـلـىـ التـمـددـ فـيـ بـلـادـنـاـ وـالـعـلـوـ فـيـ الـأـرـضـ،ـ وـكـانـتـ كـلـ الـأـحـدـاثـ تـصـبـ فـيـ صـالـحـ مـشـرـوعـهاـ الـاسـتـعـمـارـيـ يـسـاعـدـهـاـ فـيـ ذـلـكـ غـيـاءـ أـمـريـكاـ حـيـنـ اـسـتـدـرـجـتـ إـلـىـ الـأـرـضـ،ـ وـكـانـتـ كـلـ الـأـحـدـاثـ تـصـبـ فـيـ صـالـحـ مـشـرـوعـهاـ الـاسـتـعـمـارـيـ يـسـاعـدـهـاـ فـيـ ذـلـكـ غـيـاءـ أـمـريـكاـ حـيـنـ اـسـتـدـرـجـتـ إـلـىـ الـأـفـغـانـسـتـانـ وـالـعـرـاقـ،ـ فـكـانـتـ إـيـرانـ أـكـبـرـ الـرـابـحـيـنـ مـنـ هـذـاـ الغـزوـ،ـ وـوـصـلـتـ فـتـنـةـ الـشـعـوبـ الـعـرـبـيـةـ إـلـىـ إـيـرانـ وـحـزـبـهاـ إـلـىـ ذـرـوـتـهـاـ إـلـىـ حـرـبـ الـأـفـلـينـ وـسـتـةـ..ـ وـلـمـ يـكـنـ هـنـاكـ مـاـ يـنـفـصـ عـلـىـ هـذـاـ المـشـرـوعـ إـلـىـ أـنـ جـاءـتـ ثـوـرـةـ الشـعـوبـ السـوـرـيـ الـأـبـيـ لـتـقـلـبـ الـمـعـادـلـةـ عـلـىـ الرـؤـوسـ،ـ وـلـتـبـيـنـ لـنـاـ أـنـ التـنـاقـضـ بـيـنـ إـيـرانـ وـنـظـامـ سـوـرـيـاـ وـحـزـبـ نـصـرـ اللـهـ مـنـ جـهـةـ وـبـيـنـ إـسـرـائـيلـ لـيـسـ تـنـاقـضاـ رـئـيـسيـاـ،ـ وـأـنـهـ فـيـ لـحـظـةـ مـاـ يـمـكـنـ لـإـسـرـائـيلـ أـنـ تـدـعـمـ هـذـاـ الـثـلـاثـيـ لـيـكـوـنـواـ عـوـنـاـ لـهـاـ فـيـ وـجـهـ الـشـعـوبـ الـتـيـ تـمـثـلـ دـوـنـ غـيرـهـاـ التـنـاقـضـ الـجـوـهـريـ مـعـ مـشـرـوعـهـاـ الـاحـتـلـالـيـ فـيـ فـلـسـطـيـنـ..ـ

معـ عـظـمـ مـصـابـ إـخـوـاتـنـاـ فـيـ سـوـرـيـاـ إـلـاـ أـنـاـ مـطـمـئـنـونـ بـأـنـ الـعـاقـبـةـ لـهـمـ،ـ وـأـنـهـ لـاـ خـوفـ عـلـىـ مـسـتـقـلـاهـمـ،ـ لـكـنـ الـخـوفـ الـحـقـيـقـيـ هوـ عـلـىـ أـنـفـسـنـاـ إـذـ تـرـكـنـاهـمـ وـحـدـهـمـ يـوـاجـهـونـ كـلـ هـذـاـ الـقـدـرـ مـنـ الـأـعـدـاءـ دـوـنـ أـنـ نـسـانـدـهـمـ حـتـىـ بـكـلـمـةـ..ـ لـقـدـ تـرـدـيـنـاـ فـيـ وـحـلـ السـيـاسـةـ

حتى ركنا إلى الذين ظلموا فتكاد نار الفتنة أن تمسنا وتحبط ما كان لنا من فضل في سابق الأيام.. وغفلنا عن أن هذه الأحداث هي ابتلاء ساقه الله ليختبر إيماننا، بل إنها من أعظم أنواع الامتحان يهون دونه ابتلاء السجن والقتل.. فلنتفقد مواقعنا جيداً لنرى أين نقف.. وهل نجحنا في هذا الابتلاء أم أن إيماننا لم يكن بالقوة التي يمنحك فيها الشجاعة لنتنصر على الحسابات المحدودة من أجل مبادئ الحق والعدل..

هنئاً لكم يا أحرار سوريا على ما اصطفاكم الله من أجله.. وويل لنا إن لم تندرك أنفسنا قبل فوات الأوان..

أختتم بهذه النصيحة القرآنية: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين}..

والله أعلم..

المصادر: